عظمة هذه المدينة في التاريخ

منظر لآثار أفاميا

أوسع مسارح العالم القديم... في متحفها أندر اللوحات الفسيفسائية

أفاميا.... حاضرة سورية القديمة

أفاميا مدينة أثرية سورية تقع على مسافة 60 كم شمال محافظة حماة يحتوي موقع أفاميا على سويات تاريخية ترقى للعصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية والإسلامية.

وُجدت المدينة منذ عهود قديمة جداً، فقد كانت مركزاً حضارياً مهماً بالمنطقة منذ عهد مملكة أورحلينا التي أسّسها الحيثيون في القرن التاسع قبل الميلاد. كتب عنها المؤرّخ الإغريقي إسترابون وأطلق عليها اسم بارونكالو فرنكا كما كانت تُعرَف في عهد الإمبراطورية الفارسية، إلا أن الاسم سُرعان ما تغيّر مُجدداً إلى بيلا عندما وقعت المدينة لاحقاً في قبضة الإسكندر الأكبر مع سائر المنطقة إثر نصره في معركة إسوس سنة 333 قبل الميلاد.

وقعت المدينة تحت سيطرة مملكة أورحلينا «de» الحثية خلال منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، كما خضعت لفترة ما لسيطرة الإمبراطورية الفارسية. في سنة 333 قبل الميلاد دارت قرب المدينة معركة في إيسو، حيث كان النصر فيها من نصيب الإسكندر الأكبر. فدخلت أفاميا تحت سيطرته هو وخلفاؤه. لكن سرعان ما اندلعت الحروب بين خلفاء الإسكندر، وبعد وقوع معركة إيسوس بالأناضول نتج عنها وقوع المدينة في أيدي السلوقيّين، وجاء هنا تأسيسها الفعلي على يد الملك سلوقس الأول نيكاتور. وقد حازت في هذه المرحلة اسم أفاميا، الذي أطلقه عليها الملك سلوقس تكريماً لزوجته أباميا «حُرِّف الاسم لاحقاً إلى حرف الفاء بدلاً من الباء». أصبحت المدينة مركزاً حضارياً بارزاً في العصر السلوقي وباتت العاصمة العسكرية للدولة السلوقية، حيث كانت مركز جل قوات الجيش السلوقي الذي ضمّ 500 فيل هندي و300 حصان و30,000 فارس، وانطلقت منها حملات السلوقيين العسكرية، وساعدتها قلعتها على تعزيز مكانتها الحربية. وقد شيّدت المدينة الجديدة فوق هضبة، عند سفح الأكروبول القديم حيث كانت المدينة تقوم القديمة.

كان قد أعيد بناء أفاميا مع ثلاث مدن أخرى هي أنطاكيا واللاذقية وسلوقية لجلب المستوطنين الإغريق إليها، والتي شكّلت ما عُرف باسم التترابولس السوري أو الشقيقات الأربع، التي شكّلت تحالفاً استخدم عملة موحّدة، وقد وقعت على عاتق هذه المدن الأربعة مهمّة حماية المنفذ الساحلي الضيّق للإمبراطورية السلوقية الشاسعة.

ظلّت أفاميا طوال العصر الهلنستي والعهد الروماني ثاني أهم مدن سوريا بعد أنطاكية، واشتهرت المدينة في هاتين الحقبتين بالزّراعة التي شهدت تطوراً كبيراً في ريفها والمروج المحيطة بها، كما أصبح تجارها من أثرى الأثرياء وبات مدينة غنيّة ومزدهرة. شاركت أفاميا خلال العصر الروماني بالحملات العسكرية التي أطلقها الرومان على البارثيين الفرس، ممّا جعلها تستخدم ثلاث مرّات كمركز شتوي للفيلق البارثي الثاني. تمكّن الإمبراطور الساساني شابور من السيطرة على المدينة عام 256م، لكنها سرعان ما عادت إلى أيدي الرومان. كانت أفاميا من المدن التي تأثرت بالمد المسيحي في فترة مبكرة، فقد وجدت فيها أسقفية منذ القرن الرابع الميلادي، بل وقد أقدم أحد أساقفتها والمدعو مركيلوس على تدمير معبد وثني قديم فيها كان يُسمّى معبد زيوس عام 385م، ومنذ ذلك الحين بدأ تأثير المسيحية يطغى على أفاميا.

بدأت مقاطعة سوريا تخضع للتقسيم خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديّين، ممّا أدى إلى تحول أفاميا في حوالي عام 415م إلى عاصمة ثانية لسوريا – إلى جانب أنطاكية التي كانت عاصمة بالفعل – وكذلك إلى مقر للأسقفية المسيحية، وعاشت المدينة خلال هذا الوقت حقبة من الازدهار استمرّت حتى القرن السادس. أصاب زلزال المنطقة في عامي 526 و528م، وتسبّبا بأضرار في أفاميا. سقطت أفاميا في عام 612م في قبضة الإمبراطورية الساسانية، لكنها سرعان ما عادت إلى البيزنطيين عام 628م بقيادة هرقل، وبصورة عامة كان للمدينة دور عسكري مهم في مجرى الحرب الساسانية البيزنطية. زار المدينة العديد من أباطرة روما القديمة خلال عهدها الروماني، وكانوا ينفقون الأموال على تعميرها وتزيينها، وأعطوها حق سك النقود الخاصة بها حتى عهد الإمبراطور كلاوديوس عام 41 قبل الميلاد. ظلّت أفاميا بعد ذلك ومنذ القرون الميلادية الأولى مدينة رومانية، وذلك إلى أن بدأ الفتح الإسلامي لبلاد الشام مع منتصف العقد الثالث من القرن السابع الميلادي، وفي عام 636م وقعت معركة اليرموك التي أعقبها فتح أفاميا وسائر المنطقة.

البناء ذو الواجهة الرباعية أو التيتراستيلون في أفاميا

كان يقع جنوب أفاميا بـ5 كيلومترات تل سقيلبية، الذي استخدم كموقع للمراقبة والإنذار من الهجمات العسكرية، حيث شغلته حامية تابعة لمملكة أفاميا. وكانت تقع أفاميا إذ ذاك فوق تل كبير بقطر 250 متراً، حوله أراض منخفضة.

تاريخ أفاميا

أعيد تأسيس المدينة زمن سلوقس الأول نيكاتور 300 ق.م. تحت اسم أفاميا نسبة إلى زوجته «أباميا» حيث أصبحت العاصمة العسكرية للمملكة السلوقية وذات شأن كبير.

خضعت أفاميا للرومان بعد فتح سوريا «64 ق.م.» ثم خضعت للبيزنطيين ثم إلى العرب المسلمين الذين دخلوها عام 638م. استولى عليها الصليبيون وضمت إلى إمارة أنطاكية ثم استرجعها نور الدين زنكي بعد أن دمرت المدينة تدميراً كاملاً بالزلازل الذي أصاب المنطقة 1157 م – 1170 م.

تميزت مدينة أفاميا بشارعها الرئيسي الممتد بطول 1.774 متر وعرضه مع أروقته 37.5م والتي تنتصب على جانبيه الأعمدة الحلزونية الرائعة بطول الشارع وقد أعيد ترميمه بشكل جيد، بالإضافة إلى المسرح والأقوار والكاتدرائية والكنائس والقصر ولوحات الفسيفساء والعديد من الآثار المنتشرة في أرجاء المكان.

المتحف

لوحة فسيفساء يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الخامس الميلادي، توجد حالياً في المتحف الملكي في بروكسل، بلجيكا.

خان أفاميا «المتحف»: خان أثري من الطراز العثماني يقع في أسفل قلعة المضيق من الجنوب على ارتفاع 226م عن سطح البحر. بني في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في عهد السلطان العثماني سليمان خان الأول «سليمان القانوني» وكانت قوافل التجار والحجاج القادمة من إسطنبول وبر الأناضول عن طريق أنطاكيا وجسر الشغور نحو دمشق تأوي إليه قبل أن تواصل طريقها إلى وسط سوريا ودمشق في الجنوب، ومخطط الخان مربع الشكل «80×80م» تتوسطه باحة واسعة تحيط بها قاعات وغرف عديدة مبنية بالحجارة الكبيرة وسقوفه قباب نصف أسطوانية وهو بناء فخم مميز.

وقد تم ترميم البناء بصورة جيدة وجعل متحفاً إقليمياً في عام 1987 م ويعتبر من أهم متاحف الفسيفساء حيث يضم المتحف عشرات اللوحات وهي من نفائس لوحات الفسيفساء السوري التي تشتهر فيه المنطقة وأفاميا خاصة منها:

لوحات سقراط.
لوحة الوعل.
لوحة الحوريات والأمازونات.
لوحات فسيفساء كثيرة تمثل النباتات والمناظر وغيرها.

ويضم المتحف كذلك المكتشفات الأثرية من مدينة أفاميا ولقى أثرية هامة تدل على عظمه هذه المدينة في التاريخ.

الجامع

جنوب غرب قلعة المضيق وبالقرب من متحف الفسيفساء يوجد جامع صغير عثماني الطراز مستطيل الشكل مبني مع الخان ومخصص لصلاة الحجاج والمسافرين الذين كانوا يوفدون إلى المنطقة. يرجع بناء الجامع إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي.

قلعة المضيق / أفاميا

تقع قلعة المضيق غرب مدينة أفاميا وتتربع في منظر مهيب مطل على المنطقة وهي إحدى القلاع الكثيرة المنتشرة على امتداد جبال الساحل السوري. ويعتقد أن القلعة كانت أكربولا لها ثم أصبحت في العهد الروماني موقعاً حربياً وهي قلعه جميلة تتربع بالقرب من أفاميا. أما حالياً فيعتبر بناء الحصن غريباً وكذلك طراز هندسته، والبناء العربي للقلعة هي من آثار نور الدين زنكي والقرية التي داخل الحصن كبيرة حافلة بالدور المبنية من أنقاض السور والأبراج ومباني أفاميا القديمة. للقلعة سور عظيم مرتفع على هيئة مضلع غير منتظم، ركبت عليه أبراج كثيرة مربعة الشكل، وللقلعة باب كبير تعلوه قنطرة وحوله برجان مربعان للحراسة.

ومعظم السور ما زال بحالة جيدة ماعدا أحجار التضاريس التي كانت عليه التي تهدمت في بعض جوانبها إلا في القسم الغربي من السور. لم يزد الصليبيون على القلعة أي أثر جديد بعد أن استولوا عليها عام 1106 م واستقروا فيها وجعلوها معقلاً حامياً لعاصمتهم أنطاكيا على الساحل السوري وبقيت في حوزتهم حتى استخلصها نور الدين زنكي عام 1149 م، وقد أصابتها الزلازل في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي «1157 م» فهدمت معظم منشآتها وأمر نور الدين زنكي بإعادة ترميمها وإعادة بناء سورها وأكثر أبراجها وترميم شوارعها العديد من مبانيها ومنشآتها.

لوحة فسيفساء يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الخامس الميلادي.

خان الحجاج في أفاميا

المتحف من الداخل